﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: 76]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذكرُ قصّةِ نوحٍ أبي البشرِ الثّاني بعد قصّةِ إبراهيمَ ولوطٍ عليهم السلام

لمّا ذكرَ تعالى قصّةَ إبراهيمَ عليه السلام، وهو أبو العرب، وتنْجيتَه من أعدائِه، وأعقبَه بقصّة ابنِ أخيه المُزامنِ له لوطٍ، وما كان في قومه من شذوذٍ، انتهى بهم للهلاكِ الماحقِ، والاستئصالِ السّاحقِ، ذكر قصّةَ أبي البشر الثّاني نوحٍ، بعد آدمَ عليه السلام: الّذي ليس أحدٌ إلّا من نسلِه، سام وحام ويافث[1]، مشيرًا إلى استجابة ندائِه، بهلاك أعدائِه، وإنجائِه وأهلِه منَ الكرب العظيمِ.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: (جوب) أصلٌ واحِدٌ، وهو خَرْقُ الشَّيْءِ[2]، والجَوْبُ: قطعُ الجَوْبَة، وهي كالغائطِ منَ الأرض، ثمّ يُستعملُ في قطع كلّ أرضٍ، وجوابُ الكلام: هو ما يقطعُ الجَوْبَ فَيَصِلُ من فمِ القائل إلى سَمْعِ المُستمع، والجوابُ يقالُ في مقابلة السّؤالِ، والاستجابةُ قيل: هي الإجابةُ، وحقيقتُها التّحرّي للجواب، والتّهيّؤُ له، لكنْ عبّر به عن الإجابةِ، لقلّة انفكاكِها منها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60][3]، وفي أسماء اللّه المُجيبُ، وهو الّذي يقابلُ الدّعاءَ والسّؤالَ بالعطاء والقَبول[4]، فمعنى الاستجابة في الآية: قَبولُ الدّعاء وإعطاءُ المسؤول.

2) ﴿ٱلْكَرْبِ﴾: (كرب) أصلٌ يدلُّ على شدّةٍ وقوّةٍ، ومن الباب

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 453.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جوب).
(3) الرّاغب، المفردات: (جوب).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جوب).

الكَرْبُ، وهو الغَمُّ الشَّديدُ، والكُرَيْبَةُ: الشَّديدَةُ مِنَ الشَّدائِدِ، والكُرْبَةُ كالغُمّةِ، وأصلُ ذلك من: كَرْبِ الأرض، وهو قَلْبُها بالحفرِ، فالغمُّ يثيرُ النّفسَ إثارةَ ذلك، ويصحُّ أن يكون الكَرْبُ من: كَرَبَتِ الشّمس: إذا دنت للمَغيب، أو منَ الكَرَبِ، وهو عَقَدٌ غليظٌ في رشاءِ الدّلو، وقد يوصفُ الغمُّ بأنه عُقْدَةٌ على القلب، وقال ابنُ دريد: الكربُ: الحزنُ الّذي يأخذ بالنّفس وجمعُه كروب، وعنِ ابنِ السّكّيت: كَرَبَني الأمرُ يَكرُبُني كرْبا: حَزَنَني، غيره: اكتربت له: اغتمَمْتُ، وقال صاحبُ العين: هو مكروب وكريب، والاسمُ الكُربة، والجمعُ كُرَب[1]، وكلّ ما في القرآن من لفظِ (الكَرْب) فهو بهذا المعنى، فيكون معنى ﴿ٱلْكَرْبِ﴾ في الآية: الغمَّ الشّديدَ[2].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذكـرُ قصّـةِ نوحٍ عليه السلام واستجابةِ الله له بالحمايةِ والإنجاءِ

يأمرُ اللّه نبيّه محمّدًا ﷺ، بأن يذكرَ خبرَ نوحٍ عليه السلام، حين نادى ربَّه المجيبَ، فاستجاب له دعاءَه، فنجّاه وأهلَه المؤمنين به، من الغمِّ الشّديدِ[3]، ممّا لاقاه من عنَتٍ وإنكار، وتكذيبٍ واستكبار، على مدى قرونٍ عشرةٍ، لاقى فيها مرارةً وأذًى، ليس لها حدودٌ، حتّى جأرَ بالنّداء، فكان الجوابُ، ما لاقاه الكفرةُ من عقاب.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### دلالةُ لفظَيِ (الواو) و(إذ) في الآية:

ذكـرُ نـوحٍ عليه السلام بـين الـعـطـفِ والاستئنافِ

استهلّ قولُه تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ بحرف الواو، وتحتملُ أن تكون للعطف، فيكونَ قولُه: ﴿وَنُوحًا﴾ معطوفًا على قوله ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾، مُشتركًا معه في عامله الّذي هو (آتينا) المُفسَّر بـ(آتينا) الظّاهرِ، والتّقديرُ: (وآتينا نوحًا حُكمًا

(1) ابن سيده، المخصّص: (كرب).
(2) القرطبي، الجامع: 11/ 306.
(3) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 328.

وعِلمًا)، فحُذفَ المفعولُ الثّاني لـ(آتينا) لدلالةِ ما قبْلَه عليه، وبناءً عليه تكونُ ﴿إِذْ﴾ بدلًا من ﴿وَنُوحًا﴾ بدلَ اشتمالٍ، وبناءً على هذا التّوجيه يتحقّقُ الإيجازُ بحذف الفعلِ والمفعولِ الثاني مع ما عُطف عليه، ويكونُ التّركيزُ منصبًّا على المفعول الأوّلِ؛ لأنّه مناطُ القصّةِ ومصبُّ الاهتمامِ، وتحتملُ أن تكونَ الواو للاستئنافِ، فيكونَ قولُه: ﴿وَنُوحًا﴾ منصوبًا على إضمار فعْلِ (اذْكُر)، والتّقديرُ: (واذكر نوحًا أي قصَّتَهُ)[1]، وبناءً عليه تكونُ ﴿إِذْ﴾ منصوبةً بنفس المضافِ المقدّرِ، أي: خبرُه وقصّتُه الواقعُ في وقتٍ كان كيتَ وكيتَ، فتكون ﴿إِذْ﴾ منصوبةً على الظّرفيّة الزّمانيّة في الماضي، وبناء على هذا التّوجيه يكون التّركيزُ منصبًّا على على ظرف الزّمان؛ لأنّ الذّكرَ لنوح قيّدَ بالظرف ليكون التّوقيتُ للاستجابة عنصرًا بارزًا يتمُّ الإفصاحُ عنه، وفي التّخريجين كلَيْهما، فإنّ الجملةَ تتوخّى اتّساقًا مع مضامين القصصِ المتلاحقةِ، من أجل إبرازِ العِبرةِ منها، وتجليّةِ الصّراع المُحتدِم، بين الرُّسل وأقوامِهم المكذّبين، بدءًا من نوحٍ عليه السلام، إذ قصّتُه نموذجٌ مُعبِّرٌ عن طول الصّراع وشدّته.

### دلالةُ صيغةِ الماضي للفعل ﴿نَادَىٰ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾، أوثِر استعمالُ الفعل ﴿نَادَىٰ﴾ بصيغة الماضي الدّالّةِ على تحقّق الفعلِ والقطع بوقوعِه، ولا شبهةَ في أنّ المرادَ من هذا النّداء دعاؤُه على قومه بالعذاب، ويؤكّدُه حكايةُ الله تعالى عنه ذلك تارةً على الإجمال وهو قولُه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: 10]، وتارةً على التّفصيل وهو قولُه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: 26]، ويدلُّ عليه أيضًا أنّ الله تعالى أجابه بقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وهذا الجوابُ يدلُّ على أنّ الإنجاءَ

تحقّقُ استجابةِ الله لدعاء عبدِه نوحٍ عليه السلام مُفصحٌ عنِ المرادِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 453.

المذكورَ فيه، كان هو المطلوبَ في السّؤال، فدلّ هذا على أنّ نداءَه ودعاءَه كان بأن يُنْجيَه ممّا يَلحقُه من جهتِهم من ضروب الأذَى بالتّكذيب والرّدِّ عليه، بأن ينصرَه عليهم وأن يُهلكَهم[1]، ونلمسُ في اختيار هذه الصّيغةِ أنَّ هنالك مراحلَ سبقت وأوقاتًا استُنْفدت منَ الدعوة للقوم باللُّطف والتّوجيه، وأعقبَتْها مرحلةُ الإنذار والتّخويف مع الصّبرِ المُتطاولِ والجهدِ المُتكاثر، حتى لم يبقَ إلّا الدّعاءُ عليهم بالويل، الَّذي تأزّمَ وتطوّرَ إلى أن صار نداءً بصوتٍ مرتفعٍ مسموعٍ بالإهلاك والإغراقِ.

### دلالةُ حذفِ معمولِ ﴿نَادَىٰ﴾ في سياق الآية:

في قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ حُذف معمولُ الفعل ﴿نَادَىٰ﴾ إيجازًا، لكونِه معلومًا منَ السّياق، فقد قال بعدَه ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾، فالنبّي فالنبيُّ يُنادي ربّه ﷻ وحدَه، وقد جاء مُصرّحًا به في آيات أخرى، نحو قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠﴾ [القمر: 10]، وكذلك فإنّ سياقَ الآية التّأكيدُ على الفعل ﴿نَادَىٰ﴾ وأنّه الغرضُ الأصليُّ منَ الكلام دون معمولِه، ويتناسبُ حذفُ المفعول أيضًا مع غاية الاستعارةِ المُنبئةِ عن بلوغِه مرحلةً منَ الدّعاء والإلحاحِ فيه أوصلَتْه إلى النّداء والصُّراخِ، فكان حذفُ المُنادى يحقّقُ التّركيزَ على اللّفظ المُستعار ودلالاتِه المُمتدّةِ، لإظهار عجْزِ العبد، وامتنانِ الربّ عليه بالإجابةِ، ومعلومٌ أنّه إذا كان الكلامُ مُنصبًّا إلى غرضٍ منَ الأغراض، جُعِل سياقُه له وتوجّهُه إليه، كأنّ ما سواه مرفوضٌ مُطَّرَحٌ[2].

لا يجيبُ المضطرَّ إذا دعاه دعا إلّا الله ﷻ

### سرُّ استعمالِ الفعلِ ﴿نَادَىٰ﴾ في الآية:

في قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾، استُعملَ فعلُ النّداء دون فعلِ الدّعاء لنُكتةٍ بلاغيّةٍ، وهي تصويرُ حالةِ الشدّة والغمِّ الّتي

نـداءُ الـرّبِّ عندَ اشـتـدادِ الـكـربِ غايةٌ ووسيلةٌ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 162.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 4/ 8.

عانى منها نوحٌ، بسبب كفرِ قومه، ممّا ألجأه إلى النّداءِ وهو رفعُ الصّوت بالكلام رفعًا قويًا، لأجل الإسماع، وهو مشتقٌّ منَ النّداء - بكسر النّون وبضمّها - وهو الصّوتُ المرتفعُ، ونلمسُ في استعارة ﴿نَادَىٰ﴾ بدلًا من (دعا عليهم) أنَّ الدّعاءَ على القوم الظّالمين كان بإلحاحٍ وانزعاجٍ وشدّةٍ ومبالغةٍ حتى بدأ الصّوتُ يعلو وكأنّه ينادي ويصرخُ بأعلى صوته، فأصلُ النّداء الجهرُ بالصّوت والصّياحُ به، ومنه سُمّي دعاءُ الشّخص شخصًا آخرَ ليُقبل إليه (نداءً)، لأنّ من شأنُه أن يُرفعَ الصّوتُ به[1]، ولهذا نجدُ النّظمَ القرآنيَّ يستعملُ النّداءَ في مواضعِ الشّدّةِ والكربِ كنداء أيّوبَ ﷺ، في شدّة مرضِه، قال تعالى: ﴿*وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: 83]، ونداءِ يونسَ ﷺ في بطن الحوت، وأعْظِمْ بها من شِدَّةٍ بقوله: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: 87].

### دلالةُ حرفِ الجرّ ﴿مِن﴾ في الآية:

ورد في قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ حرفُ الجرّ ﴿مِن﴾ الدّالّ على ابتداءِ الغايةِ الزّمانيّة، والنّكتة والنُّكتةُ في ذلك أنّه لـمّا كان دعاؤه لم يَستغرقِ الأزمنةَ الماضيةَ، أثبتَ الجارَّ، فقال: ﴿مِن قَبْلُ﴾، أي من قبلِ هؤلاء المذكورين: لوطٍ ومن تقدّمَه[2]، وفي تشخيصِ زمنِ ابتداءِ النّداءِ ما يُضفي فاعليّةً على القصّةِ القرآنيّة؛ لأنّها عبارةٌ عن مجموعةِ أحداثٍ تقعُ في زمان بشخوصٍ محدّدةٍ تهدفُ لتحقيقِ مغزى، فيُعطي بدايةَ الزّمن القصصيِّ حيويّةً على القصّةِ وتكاملًا لمكوّناتها وعناصرِها الضّروريّةِ حتى يعيشَ القارئُ في ظرفِها وسياقِها.

**تقدّمُ نوحٍ على الأنبياء ﷺ سبْقٌ في الدّعوةِ إلى الله**

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/ 199.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 452.

### سِرُّ بناءِ ﴿مِن قَبۡلُ﴾ على الضّمّ في الآية:

جاء الظرفُ ﴿قَبۡلُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ﴾، مبنيًّا على الضّمّ، وقد تقرّرَ في النّحو، أنّ بناءَه على الضّمّ، يدلُّ على مضافٍ إليه مَنويٍّ معناه، تقديرُه: من قبْلِ هؤلاء، أي قبلَ الأنبياء المذكورين، وفائدةُ ذكرِ هذه القَبْليّة، التّنبيهُ على أنّ نصرَ الله أولياءَه سنّتُه المرادةُ له سبحانه، وفي ذلك تعريضٌ بالتّهديد للمشركين المُعاندين لرسولِ الله ﷺ، ليتذكّروا أنّه لم تَشِذَّ عن نصْرِ الله رُسلَه شاذّةٌ، ولا فاذّةٌ[1]، وفي حذْفِ المضافِ إليه إيجازٌ وربطٌ بعناصرِ القصص بعضِها ببعض؛ إذ ينتقلُ الذِّهنُ إلى من تقدّم ذكرُهم منَ الأنبياء فيحصلُ الارتباطُ والتّماسكُ في تلك القصصِ المُتلاحقةِ.

سـنّـةُ الـلـه الماضيةُ وحكمتُه السّاريةُ في نصر أوليائِه ورسلِه

### نُكتةُ استخدامِ حرفِ (الفاء) في الآية:

عُطِف قولُه تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ على ما قبْلَه بحرف (الفاء) الدّالِّ على التّرتيب والتّعقيبِ، والمرادُ بالتّعقيب تأكيدُ الإجابة[2]، بمعنى أنّ استجابةَ الله ﷻ لنوحٍ عليه السلام جاءت عقبَ ندائه وتضرّعِه لربّه المجيبِ سبحانه، وتعقيبُ كلِّ شيء بحسبِه، كما يدلُّ على أنّ الاستجابة مُسبّبةٌ عنِ النّداء، فقد أمر الله عبادَه بالدّعاء ووعدَهم بالإجابة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: 60]، وفي هذا الحرف العاطفِ ما يدلُّ على سرعة استجابةِ الله نداءَ عبده نوحٍ عليه السلام إذ لم يفصلْ بين ندائه واستجابةِ دعائه بفاصلٍ قصصيٍّ أو بحدثٍ خارجيٍّ، وهي رسالةٌ للدّعاة إذا ما تعرّضوا للاستهزاءِ والاستخفافِ بسرعة النّصر والغلبةِ.

ترتّبُ استجابةِ الـدّعـاء على الطّرقِ الدّؤوبِ لأبوابِ السّماءِ

### دلالةُ الفعلِ الماضي ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا﴾:

أوثرَ في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾، استعمالُ الفعلِ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا﴾،

زيـادةُ اليـقينِ بـحـكـايـةِ قصصِ الأنبياء والمرسَلين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 113.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4898.

بصيغة الماضي الدّالّةِ على تحقّقِ فعلِ الاستجابةِ وأنّها أمرٌ مفروغٌ منها مقطوعٌ بحصولها، واللّه سبحانه يقصُّ على نبيِّه محمّد ﷺ، قصصَ الأنبياء السّابقين تثبيتًا لقلبه، وتسليةً له عمّا كان يَلقاه من قومِه من ضروب الأذَى والتّكذيبِ.

### سرُّ ورودِ الفاعلِ ضميرًا دالًّا على العظمة:

بـيـانُ عـظـمـةِ الجبّار في نصرة أوليائِه الأبرارِ

أُسندَ الفعلُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ إلى ضمير (نا) للدلّالة على عظمةِ المجيبِ سبحانه، وعظمةِ الاستجابةِ في حدّ ذاتِها، وأنّه لا يستجيبُ للمضطرّ إلّا هو سبحانه، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النّمل: 62]، ومثلُ هذا التّعبير بهذا الضّمير، يُعبّرُ به الملوكُ والعظماءُ النّافذُ أمرُهم ونهيُهم، وفيه أيضًا إدخالُ المهابةِ في قلوب العبادِ، فالعظيمُ ينصرُ أولياءه، وكلُّ ما يصدرُ عنِ العظيم عظيمٌ[1].

### نُكتةُ استعمالِ السّين والتّاءِ في قوله: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا﴾:

زيـــادةُ المبنَى تستلزمُ زيـادةَ المعنى غالبًا

تضمّنَ قولُه تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ زيادةَ حروفِ السّين والتّاء في الفعل (استجاب)، فذهب بعضُ العلماء إلى دلالتِها على تأكيدِ الاستجابةِ والمبالغةِ في حصولِها، لأنّ السّينَ والتّاء للطّلبِ، أي إنّ الطّلبَ طلبُ الإجابة وإرادتُها له[2]، ولذا لم يقل (فأجبناه) بل انتقل إلى ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ ليفيدَ تقويةَ معنَى الإجابة، وأنّها أمرٌ مقطوعٌ بوقوعه لا سبيل للشّكِّ والارتيابِ فيه، ولاشكّ أنّ زيادةَ المبنَى تستلزمُ زيادةَ المعنى غالبًا، وقيل إنّ الاستجابةَ هي الإجابةُ، لأنّ حقيقتَها هي التّحرّي للجواب والتّهيّؤُ له، ولكن عبّرَ به عنِ الإجابة لقلّةِ انفكاكِها منها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: 60][3].

(1) الشّهاب، عناية القاضي: 6/ 208.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4898.
(3) الراغب، المفردات: (جوب).

**سرُّ تعديةِ الفعل ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ باللّام:**

عـنـايـةُ الـلـه سبحانه بعبده نـوحٍ عليه السلام دليلٌ على كرامتِه لديه

تعدّى الفعلُ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ باللّام الدّالّةِ على الغرضِ والعلّةِ والسّببيّةِ، أي إنّ الاستجابةَ كانت لأجل ندائِه ولِما تعرّض له من أذًى، فجاءتِ الاستجابةُ لأجلِه ولكرامتِه عند ربّه، ودلّت هذه السّببيّةُ على تأكيدِ الاستجابةِ وتقريرِها وأنّها أمرٌ مقطوعُ الحصولِ لا يتخلّفُ مع عباد الله الصّالحين وأوليائِه المتّقين؛ فهي لأجل نوحٍ عليه السلام، وأنّه سبحانه أعطاه سؤالَه، فنجّاه وأهلَه منَ الكربِ العظيمِ.

**دلالةُ الفاء على العطفِ في قوله: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾:**

عطفُ الإنجاءِ على استجابةِ الدّعاءِ منَ البيانِ المُفصحِ عنِ المرادِ

عُطِف قولُه تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾، على الاستجابة بحرف (الفاء) الدّالِّ على التّرتيب والتّعقيب، بمعنى أنّ إنجاءَ الله ﷻ لنوحٍ عليه السلام، منَ الكرب العظيمِ، جاء عقبَ ندائه وتضرّعِه لربّه ﷻ، واستجابةِ الله المجيبِ لدعائه، كما يدلّ عطفُ الإنجاء على الاستجابة على أنّ نداءَه كان بأن يُنجيَه الله ﷻ، ممّا يَلحقُه من جهة قومِه، من صنوف الأذَى بسببِ تكذيبِهم[1]، وفي (الفاء) تفصيلٌ وتعريفٌ بحدود الاستجابةِ وأبعادِها، وتوضيحٌ لهيئتها وصورتِها بأنّها تمثّلت بالتّنجيةِ له ولأهله منَ الكرب العظيمِ، فهي بمثابةِ التّصوير للاستجابةِ المتقدّمةِ.

**دلالةُ صيغةِ الماضي في الفعل ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾:**

تحقّقُ نجاةِ نوحٍ عليه السلام ممّا حلّ بقومِه لُطفٌ منَ الله تعالى

أوثِر في قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾، استعمالُ الفعل ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ بصيغةِ الماضي الدّالّةِ على تحقّقِ الفعل والقطْعِ بوقوعِه، فقد نَجّى الله نوحًا عليه السلام ومن آمن معه منَ الغرق، وفي هذا الإخبارِ بما وقعَ في الزّمن الماضي تطمينٌ للدُّعاة وتثبيتٌ لهم، فالله سبحانه يقصُّ على نبيّه محمّدٍ ﷺ قصصَ

(1) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 13/ 549.

الأنبياء السّابقين تثبيتًا له، ولِتأخذَ أمّتُه العِبرةَ من مصير الأممِ المكذّبةِ لرُسلها.

### سرُّ ورودِ الفاعل ضميرًا دالًّا على العظمة:

بـيـانُ قـدرة الـعـظـيـمِ في إنـجـاء عـبـادِه المُستضعَفين وإهلاكِ الظّالمين

أُسندَ الفعلُ في قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ إلى ضمير (نا) للدّلالةِ على عظيم قدرةِ الله ﷻ في نُصرة عبادِه المستضعَفين وإنجائِهم من أذيّةِ الظّالمين وما يَلحقُهم منَ العذاب الأليم، وهذه هي العظمةُ الّتي أنجت نوحًا عليه السلام ومن معه على أعوادٍ من خشبٍ تموجُ بها أمواجٌ كالجبال.

### سرُّ استعمالِ صيغة الفعلِ (نجّى) دون (أنجى):

تغيّرُ المبنَى دالٌّ على تغيّرِ المعنَى

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾، بالفعل (نجّى) دون (أنجى) للفرق الدّلاليّ الّذي تتميّزُ به الصّيغةُ الصّرفيّةُ لكلّ واحدٍ منهما، فإنّ (نجّى) على وزن (فعّل)، وهذه الصّيغةُ تفيدُ التّمهّلَ والتّلبّثَ والبقاءَ، مثل علّمَ وأعلَمَ، فعلّمَ تحتاجُ إلى وقت، أمّا أعلمَ فهو إخبارٌ دفعةً واحدةً، ومثالُه قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة: 50]؛ لأنّهم لم يمكثوا في البحر طويلًا فقال: أنجيناكم، وكذلك في إبراهيمَ عليه السلام قال ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [العنكبوت: 24]، ولم يقل: نجّاه، لأنّه لم يلبث كثيرًا في النّارِ بخلاف نوحٍ عليه السلام الّذي لبث مدّةً في الفُلك حتى حصلت له التّنجيةُ منَ الطّوفان العظيم، كما أنّ هنالك إشارةً لطيفةً في الفعل (أنجى) من حيث الدّلالةُ على التّخليص منَ الكرب بأدنى جهدٍ وعملٍ، بخلاف الفعل (نجّى) الّذي يفيدُ التّخليص منَ الكرب بمحاولاتٍ وتعبٍ، وهذا التّفريقُ بالنّسبةِ لنا، وأمّا بالنّسبة لقدرةِ الله تعالى فليس هنالك عملٌ صعبٌ أو يسيرٌ، لكنَّ الله تعالى يخاطبُنا بمقتضى دلالاتِ لغتِنا، فنفهمُ منَ التّعبير أنَّ عمليةَ تنجية نوحٍ استغرقت وقتًا وجهدًا وفقَ

مقاييسِنا واعتباراتِنا، حتى نفهمَ مدَى استجابة الله تعالى لنبيّه نوحٍ عليه السلام ومحبّتِه لعبادِه الصّالحين.

**دلالةُ العطفِ على الضّمير: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾:**

في قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ عُطف (الأهلُ) على الضّمير العائدِ لنوحٍ عليه السلام، زيادةً في الامتنانِ عليه بفضلِ الله سبحانه، فإنّ مِن أعظمِ النِّعم على العبدِ إقرارَ عينِه، وإسعادَ قلبِه، بنجاة أهلِه، والمقصودُ بأهل نوحٍ عليه السلام أهلُ بيتِه، ما عدا أحدَ بَنيه الّذي كفر به، وقيل المرادُ بالأهل هنا: أهلُ دينِه، كما دلَّ على ذلك في آيات أخرى، ونلمحُ في عطف الأهلِ والأتباعِ عليه أنّه عليه السلام إمامٌ لقومه وأهلِه ومتقدّمٌ عليهم، وأنّهم نالوا شرفَ التّنجيةِ باتّباعِهم واقتدائِهم به، وفي ذلك تثبيتٌ للمؤمنين بالنّبيّ محمّد ﷺ بأنَّ نجاتَهم تكمنُ في اقتدائِهم واتّباعِهم لأوامرِه وسُننِه.

تمامُ المنّةِ على نوحٍ بتنجيةِ الأقربين له من أهلِ الملّةِ

**سرُّ استعمالِ لفظِ ﴿ٱلْكَرْبِ﴾ في السّياق:**

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ بلفظ ﴿ٱلْكَرْبِ﴾، ومعناه الغمُّ الشّديد، وقد قيل في المقصود منَ الكرب وجوهٌ:

الدّلالةُ على استغراقِ عشرةِ قرونٍ شدادٍ في دعوةِ القومِ إلى الرّشادِ

**أحدُها:** أنّه العذابُ النّازلُ بالكفّار، وهو الغرقُ، وهو قولُ أكثرِ المفسّرين.

**ثانيها:** أنّه تكذيبُ قومِه إيّاه وما لقيَ منهم منَ الأذَى.

**ثالثُها:** أنّه مجموعُ الأمرين، وهو قولُ ابنِ عبّاس رضي الله عنهما، وهو الأقربُ، لأنّه عليه السلام، كان قد دعاهم إلى الله تعالى مدّةً طويلةً، وكان ينالُه منهم كلّ مكروهٍ، وكان الغمُّ يتزايد بسببِ ذلك، وعند إعلامِ الله تعالى إيّاه أنّه يُغرقُهم، وأمرِه باتّخاذ الفُلك، كان أيضًا على غمّ وخوفٍ، من حيث لم يعلم مَنِ الّذي يتخلّصُ منَ الغرق، ومنِ الّذي

يغرقُ، فأزال الله تعالى عنه الكربَ العظيمَ، بأن خلّصَه من جميع ذلك، وخلّصَ جميعَ من آمن به معه[1].

### سرُّ استعمالِ لفظِ ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ صفةً للكرب:

هلعُ النّفوسِ من خوفِ الغرقِ بالطّوفان

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، بلفظِ ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ صفةً لـ ﴿ٱلۡكَرۡبِ﴾، وذلك لتصويرِ معاناةِ نوحٍ عليه السلام، في دعوة قومِه طيلةَ ألفِ سنة إلّا خمسين عامًا، وما لقيَه منهم من ألوان السّخريّةِ والتّكذيبِ والأذَى، وإضافةُ هذا الوصف إلى لفظ الكربِ، يدلُّ على منتهَى البلاء؛ لأنّ أصلَ الكرب من كَرْبِ الأرض وهو قلْبُها بالحفرِ، إذِ الغمُّ يثيرُ النّفسَ إثارةَ ذلك، أو من كَرَبَتِ الشّمسُ، إذا دنت للمغيب، فإنّ الغمّ الشّديدَ تكاد شمسُ الرّوحِ تغربُ منه، أو منَ الكَرَبِ، وهو عقدٌ غليظٌ في رشاء الدّلوِ فإنّ الغمَّ كعُقدةٍ على القلبِ[2].

وقد قال بعضُهم إنّ الكربَ العظيم: هو الطّوفان، ووجهُ كونِ الطّوفان كربًا عظيمًا، أنّه يَهولُ النّاسَ عند ابتدائِه وعند مدِّه، ولا يزال لاحقًا بمواقع هروبِهم، حتّى يَعُمّهم فيبقوا زمنًا يذوقون آلامَ الخوف، فالغرقِ وهم يَغرقون ويَطْفونَ، حتّى يموتوا بانحباسِ التنفّس، وفي ذلك كلِّه كربٌ مُتكرّرٌ، فلذلك وُصفَ بالعظيم[3]، والغرضُ من وصف الكربِ العظيم أنَّ تنجيةَ الله لا يمنعُها كربٌ يسيرٌ أو عظيمٌ إذ قدرتُه مطلقةٌ لا حدودَ لها، لكن تظهرُ النّعمةُ والتّأييدُ بالنّسبة لنا، فلا نخشى همًّا ولا نخاف كربًا، كما يحملُ التّوصيفُ دلالةً على عظمةِ التّنجيةِ والمنّةِ وسرعةِ الاستجابةِ وأهمّيتِها

### دلالةُ تلاحقِ الأفعالِ في الآية:

نصرُ الله قريبٌ وإن طال الزّمنُ فإنّ الله مُجيبٌ ومُنجٍّ

تضمّن قولُه تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، تصويرَ قصّةِ نوحٍ عليه السلام مع

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 163.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 9/ 70.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 113.

قومِه، بإيجازٍ بليغٍ، وهذا من مزايا القصّ القرآنيِّ وتَفرّداتِه، فقد طوى اللّه سبحانه قرونًا متطاولةً من حياة نوحٍ ﷺ، واختصرها في أفعالٍ متلاحقةٍ ﴿نَادَىٰ﴾..﴿فَٱسْتَجَبْنَا﴾..﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾، للدلّالةِ على أنّ نصْرَ اللّه لعباده قريبٌ، وإن طالتِ المعاناةُ، وفي ذلك تثبيتٌ لقلب النّبيِّ ﷺ، ومن معه منَ المؤمنين، للصّبر على أذى المشركين اقتداءً بالسّابقين منَ الرُّسل، وفيه أيضًا البُشرى بأنّ العاقبةَ الحُسنى لعباد اللّه الصّالحين، بالنّصرِ والتّمكين.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### الاستجابةُ والسَّمعُ:

عمومُ السّمعِ لإدراكِ والاستجابةِ لِما بين اللّفظين من عمومٍ وخصوصٍ مطلقٍ

يتجلّى الفرقُ بين لفظَيْ (استجاب) و(سمع)، في علاقة العموم والخصوصِ المطلقِ بينهما، فلفظُ (سمع) جنسٌ يشملُ أنواعًا، هي: سمعُ الإدراك، وسمعُ الاستجابةُ، وسمعُ التدبّر والاتّعاظ، ويدلُّ على ذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال: 21]، فأثبت لهم سمعَ الإدراك، ونفَى عنهم سمعَ الاستجابةِ، والاتّعاظ.

ولقد أثبتَ اللّه لنفسه نوعَين منَ السّمع: سمعَ إدراكِ المسموع، وسمعَ إجابةِ المسموع، ففي قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ [المجادلة: 1]، أثبت لنفسِه سبحانه سمعَ الإدراك، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: 39]، أثبت لنفسه سبحانه سمْعَ الاستجابة، وفي قول المصلّي: (سمع اللّه لمن حمده) يُقصَد به الأمران جميعًا، يعني يسمعُ ويجيبُ من حمِدَه بالإثابة.

وسمعُ الإدراك هو منَ الصّفات الذّاتيةِ، وأمّا سمعُ الاستجابة، فهو منَ الصّفات الفعليّة، لأنّه إن شاء استجاب، وإن شاء لم يَستجب، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، فالاستجابةُ حصلت بعدَ الدّعاء، وكلُّ شيءٍ يكونُ له سببٌ من صفاتِ اللّه، فهو منَ الصّفاتِ الفعليّةِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»